أسباب الغلو والتطرف وطرق معالجتها في السنة النبوية

إعداد: د. راشد حمدان رويشد العازمي
مدرس بقسم التفسير والحديث
كلية الشريعة - جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعالمين، وحجةً على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإنه ليس أضر على النفس من الجهل والتعصب والهوى ، وهذه الثلاثة هي مركب الغلو والتقصير ، ولا أضر على الأمة من الافتراق والتباغض، وفساد ذات البين، وهذه هي الحالقة التي تحلق الدين، وليس أنجا عند التنازع والاختلاف من الرد إلى كتاب الله -تعالى- ومتابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، قال

-تعالى- :﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾[١] ، وقال -تعالى- :﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[٢].

والغلو في الدين قضية قديمة ابتلي به أناس إما بدافع الحرص على تحقيق العبودية الخالصة لله -سبحانه- ، فيتحول حرصهم عن الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله ورسله لعباده؛ لأن اجتهادهم لم يرتكز على الفهم الواعي للنصوص الشرعية الداعية إلى عبادة الله -تعالى-، وقد يكون الغلو بسبب الاتباع والتقليد الأعمى للأشياخ المضلين أصحاب الأهواء والمصالح الدنيوية الذين استغلوا جهل العامة وبعدهم عن تعاليم الدين ، واستغلوا ثقة هؤلاء فيهم باعتبارهم قائمين على شرع الله ومن سمة الدين اليسر ورفع الحرج لقوله -تعالى- :﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[٣] . كما أن للأمة الإسلامية سمة الوسطية لقوله -تعالى- : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[٤].

فمن شاد الدين وغالبه فقد خالف مقصد الشارع من التشريع ، كما خرج عن سمة الأمة ، ومن ادعى متابعة رسول الله ﷺ ومحبته قولا، وخالف سنته وهديه تطبيقا وعملا فقد غالى بتفريط أو إفراط فهو ممن يصف المعصية بوصف الطاعة، ويخشى أن يكون من الدعاة على أبواب جهنم ، كما أخبر النبي ﷺ ففي الصحيح عن أَبُي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: **كَانَ النَّاسُ**

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

(٢) النور: ٥٤.

(٣) سورة الحج: ٧٨.

(٤) البقرة: ١٤٣.

يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ، قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ[1].

ومن ثم فموضوع هذا البحث "**أسباب الغلو والتطرف وطرق معالجتها في ضوء السنة**". ولقد كثر الحديث عن هذا الموضوع في العصر الحاضر، حين وجد الغلاة والمتطرفون والخوارج الجدد وهذا أمر ظاهر، وذلك لبيان زيفهم وضلالهم وإذا سكت أنت وسكت أنا فمن يبين الحق ، وقد أخبر النبي ﷺ وقال: "**إنه سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية**"[2].

(١) صحيح البخاري، دار الحديث ، ٤٣٩/١١-حديث ٣٣٣٨.

(٢) البخاري استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٥٣١)، مسلم الزكاة (١٠٦٦)، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢)، أبو داود السنة (٤٧٦٧)، أحمد (١٣١/١).

إن مشكلة الغلو في الدين متعلقة بالشرع والدين، فالمرجع فيها هو الشرع، وفي الحكم على عمل من الأعمال أو قول أو اعتقاد بأنه مظهر من مظاهر الغلو لا بد من دراسة الأمر، والنظر في النصوص مع النظر في الواقع؛ للخروج بأن هذا المظهر من مظاهر الغلو.

ولفظ الغلو ينطبق عليه هذا، فلا يصح إطلاق وصف الغلو، فيقال: فلان غالٍ، أو الجماعة الفلانية غالية إلا إذا كان غلوه أو غلوها في أمر أصلى من الدين سواء في أصول الاعتقاد أم في أصول العمل .

قال الإمام الشاطبي –رحمه الله– في بيان من تسمى فرقة خارجة عن أهل السنة والجماعة : "إن هذه الفرقة إنما تصير فرقاً، بخلافها الفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات"[(١)]. فلا شك أن الغلو والتطرف سلوكٌ يظهر في حياة كثيرٍ من الناس، ويرجع هذا السلوكُ إلى عدةِ عواملَ ودوافعَ تحركه، وقد عُرف هذا السلوك في معظم عصور التاريخ الإسلامي.

وتتنوع الأسبابُ المؤديةُ إلى الغلو والتطرف، وتمتد آثارُها إلى زعزعة النظام المجتمعي والأمان النفسي الذي يُعدُّ من أهم الضرورات الإنسانية لدى البشرية جمعاء.

ومعرفةُ الأسباب المختلفة وحصرُها خطوةٌ مهمةٌ وضروريةٌ للحدِّ من الغلو والتطرف والقضاء عليهما.

وتتمثل **أهمية هذا البحث** في كون الغلو أصبح ظاهرةً منتشرةً في بلاد العالم الإسلامي كله، تهدد سلامةَ الجماعات والأفراد وأمنَهم.

---

(١) الاعتصام: (٢/ ٢٠٠).

واستشعاراً من الباحث بأهمية معرفة أسباب الغلو والتطرف. والتحذير من منهجهم وطريقتهم، ومن أصول الدين الرد على المخالفين وكيفية معالجة هذه الظاهرة .

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معنى الغلو لغة وشرعا

المبحث الثاني: أسباب الغلو

المبحث الثاني: طرق معالجة الغلو

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول
معنى الغلو لغة وشرعا

الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد فكل ما زاد عن الحد في الشرع قد غلا وانحرف.

ومنه قوله ﷺ في حديث أبي ذر: «**أي الرقاب أفضل قال: أغلاها ثمنا وأنفعها عند أهلها**» [(١)].

ومعنى هذا الحديث أكثرها ثمنا مقارنة بأصحابها ومثلياتها، وجاء عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدمية جمرتان يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل**»[(٢)].

والغلو يعني: مجاوزة الحد. يقال: غلا السعر. وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– فقال: "والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك "[(٣)].

فالخوارج الجدد وغيرهم يبالغون في كل شيء في أبواب العبادة والإنكار على ولاة الأمور بالذم لهم وإظهار معايبهم مع عدم الاكتراث لما يجر ذلك من الشرور والمفاسد.

---

(١)صحيح البخاري العتق (٢٥١٨) ، صحيح مسلم الإيمان (٨٤) ، سنن النسائي الجهاد (٣١٢٩) ، سنن ابن ماجه الأحكام (٢٥٢٣) ، مسند أحمد (٥/١٧١) ، سنن الدارمي الرقاق (٢٧٣٨) .

(٢)رواه البخاري في كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم ٨٤.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٣٢٨) .

ومنه التطرف، ويطلق على تجاوز حد الاعتدال، إذا لم يتوسط. وقيل الغلو هو المبالغة في الشيء. ومنه الغلو في الدين، ومن معانيه: الميل والانحراف عن الطريق المستقيم، أو أن يزيد في الدين ما ليس منه؛ بحيث يتجاوز الحد المشروع، أو يتشدد في العبادة، أو يتعسف في أدائها، حتى يخرج بها عن الصفة المشروعة. فكل من تعبد الله بغير ما شرع نوعًا أو عددًا أو صفة فهو من الغلاة، ومن هنا أصبحت البدع في الدين نوعًا من الغلو والتطرف فالوسطية التي هي وسام شرف لهذه الأمة أناطها الله بها وجعلها شهيدة على الناس، هذه الوسطية ذابت بين جانبي الغلو والانحلال، الإفراط والتفريط.

لهذا كان الكشف عن جذور الغلو والتطرف والعنف والفساد والإفساد في حياة المسلمين المعاصرين يعد من عوامل التخلص من الخلل الذي أثقل كاهلهم، وأضعف قوتهم وفرق كلمتهم، فمعرفة الخلل توصل إلى علاج ناجع إذ لم ينشأ تطرف في حياة المسلمين إلا عن خلل في البناء الفكري للغلاة الذين يدعون إلى العنف والهرج والمرج والفساد والإفساد. وكل تطرف في الدين أو غلو فيه فسببه هذه الفئة الباغية من الفرق والجماعات والأحزاب، وهي بمجموعها مصدر البدع والفتن والأهواء والآراء.

فالغلو في حقيقته تجاوز الحد المشروع، أو مبالغة في الالتزام بالدين فعلاً أو تركًا. فمن الغلاة مَن يترك المباح، ويحرمه على نفسه، على سبيل التدين والمبالغة في الالتزام، وهذا من باب التشديد على النفس، والتنطع والتعنت والتعسف، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ**

الْمُتَنَطِّعُونَ»[١]. يقول الإمام النووي -رحمه الله-: "أي: هلك المتعمقون المغالون، المجاوزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم"[٢].

قال الخطابي في "معالم السنن": المتنطع: المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم[٣]. اهـ.

فهذا خبر عن هلاك من وقع في التنطع الذي هو ضرب من الغلو في الكلام ونحوه، فدل على أن عقوبة الغالين من المتقدمين والمتأخرين هو: الهلاك، ولهذا لا يقوم لأهل الغلو دولة، ولا تجتمع الأمة عليهم، كما قال الإمام وهب بن منبه -رحمه الله تعالى- في الخوارج كنموذج للغلو، عند مناصحته لمن وقع في رأيهم: (فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج.

ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج إلى بيت الله الحرام، وإذا لعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذا لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك أو مع من يكون.

---

(١)أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٥، رقم ٢٦٧٠).

(٢)(٧ / ١٢ -١٣)

(٣)رسالة مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج، ص ١٧.

غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لهم، فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج. .) الخ [(١)].

وجاء في قول النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**" [(٢)].

لهذا أمر رسول الله ﷺ بالتسديد والمقاربة والتوسط، ليتحقق المقصود، ألا وهو الثبات على الدين بلا انقطاع ولا تخلف. فتبين بذلك أثر الغلو في الدين على الاستقامة عليه، فكان لا بد من نبذ الغلو لتحقيق الاستقامة على الحق والدين القويم. فالغلو والتفريط وما بينهما وسط ولما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تغالوا في الكفن، فإنه يسلبه سلبا سريعا**»[(٣)] .

فقد قال صاحب المنهل العذب المورود: "أي لا تبالغوا في ثمنه، ولا تجاوزوا الحد الشرعي فيه، فإن الكفن يبلى على الميت سريعا فلا ينتفع به، والمغالاة في إضاعة المال"[(٤)].

---

(١)شرح النووي لصحيح مسلم.(١٦/٢٢٠)

(٢)أخرجه أحمد (١/٣٤٧، رقم ٣٢٤٨)، والنسائي (٥/٢٦٨، رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٢/١٠٠٨، رقم ٣٠٢٩)، وابن سعد (٢/١٨٠)، والطبراني (١٨/٢٨٩، رقم ٧٤٢)، والحاكم (١/٦٣٧، رقم ١٧١١) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (٥/١٢٧، رقم ٩٣١٧). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/١٧٧، رقم ٢١٤٤).

(٣)رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب كراهية المغالاة في الكفن (٣١٥٤) ، من طريق أبي مالك الجنبي، وهو عمرو بن هاشم الكوفي، لين الحديث، وشدد فيه ابن حبان في كتابه، المجروحين.

(٤) المنهل العذب المورود (٨/ ٣١٣، ٣١٤).

قال: باب كراهية المغالاة في الكفن: "أي الزيادة عن الحد الشرعي، ويقال: غاليت في الشيء وغلوت فيه إذا جاوزت فيه الحد"[١]. اهـ.

وأما مصطلح التطرف فهو مصطلح محدث، ليس من الألفاظ الشرعية، إلا عند بعض أهل العلم في نصوص معدودة، ولا شك أن استعمال ما دل عليه الشرع من الألفاظ أولى وأسلم.

(١) المنهل العذب المورود (٨/ ٣١٣، ٣١٤).

المبحث الثاني
أسباب الغلو

بعد هذا العرض الموجز لحقيقة الغلو والتطرف يمكن التعرف على الأسباب الموصلة لاستحقاق هذا الوصف على مستوى الفرد والجماعة.

وعدم الفقه في الدين يولد التعالم والغرور، والخروج عن منهج الاعتدال، وهذا هو الغلو بعينه، فالغلاة عندهم علم، لكنه علم بلا أصول، ولا ضوابط، ولا فقه، ولا رأي سديد، يعتقدون أنهم بهذا قد حازوا على علم الأولين والآخرين.

المطلب الأول: الجهل:

إن أظهر أسباب غلو الخوارج هو: (الجهل) وفي الحديث أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» . أي: أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون معانيه ومقاصده [1].

وهكذا كانت حال الخوارج، يدعون العلم والاجتهاد، وهم من أجهل الناس، ومن سماتهم التشدد والتعنت، وهذا حال الغلاة؛ لقلة بضاعتهم من العلم الصحيح. وللجهل أيضا مظاهر كثيرة لا يسمح الوقت بها.

وَقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: {**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ**}[التوبة: ١١٥] وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ**» [2]

(١) ينظر الشاطبي: الاعتصام (٢ / ٢٢٦) .

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٦)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**"(١).

ومن عدم فهمهم للقرآن استشهادهم على إبطال التحكيم بقوله -تعالى-: {**إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ**} [الأنعام: ٥٧] فالمعنى المأخوذ من الآية صحيح في الجملة، وأما على التفصيل فيحتاج إلى بيان؛ ولذلك رد عليهم علي - رضي الله عنه - فقال: (كلمة حق أريد بها باطل)(٢).

يقول الشاطبي -رحمه الله-: (ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؛ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعني -والله أعلم- أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن

(١)صحيح لغيره، محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وداود بن الحصين ثقة مشهور لكن له غرائب تُستنكر.

وأخرجه عبد بن حميد (٥٦٩) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٨٧) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وعلقه البخاري في "صحيحه" ٩٣/١ في الإيمان: باب الدين يسر، وحَسنَ الحافظ إسناده في "الفتح".

وله شاهد بسند قوي من حديث عائشة مرفوعاً: "إني أرسِلْتُ بحنيفية سَمْحة" وسيأتي في "المسند" ١١٦/١٦ و٢٣٣. وآخر من حديث أبي أمامة عند أحمد ٢٦٦/٥، والطبراني (٧٨٦٨) . وثالث من حديث جابر عند الخطيب ٢٠٩/٧، وابن النجار في "ذيل تاريخ بغداد" ٥/٣، وسنده ضعيف.

ورابع عن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً عند ابن سعد في "الطبقات" ١٩٢/١.

وقوله: "الحنيفية" قال السندي: أي الملة المنسوبة إلى إبراهيم يريد دين الإسلام الذي بعث به نبينا عليه الصلاة والسلام، فإنه يشارك دين إبراهيم في كثير من الفروع مع الاتحاد في الأصول، فلذلك ينسب إلى إبراهيم، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والسمحة: بفتح السين وسكون الميم: أي التي تسهل على النفوس، لا كالرهبانية الشاقة عليها.

(٢)رواه مسلم (٢ / ٧٤٩) كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج.

الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل به فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف المسموعة فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم) [1].

ولقد كان من الأسباب الرئيسة لانحراف الخوارج اعتدادهم بأهوائهم في مقابل النصوص، واعتدادهم بأنفسهم في مقابل الأجلة من أهل العلم أصحاب رسول الله ﷺ بل كان أول خارج ذو الخويصرة المعترض على قسمة النبي ﷺ القائل: (اعدل يا رسول الله!) ثم تتابع سير الخوارج على هذا النهج، فكانوا يعترضون على أجلة العلماء صحابة النبي ﷺ ويرفضون أقوالهم بل ويتبرؤون منهم ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم؛ لما رأوا من مخالفتهم إياهم فيما يعتقدون وعلى ذات المنهج ساروا في معاملة أهل العلم من التابعين.

المطلب الثاني: البعد عن العلماء:

يكون ذلك بترك التلقي عنهم والتعصب للرأي المحض، وهذا منذر بخطر عظيم، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم صمام الأمان من الأهواء، وهم منابر النور، وهم مصدر تلقي العلم الصحيح، وهم أهل الذكر الذين أمرنا الله -تعالى- بسؤالهم في حال الجهل وأهل العنف لهم جهال بأثواب علماء إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأقوالهم وحين التدقيق في أحكامهم تجد عندهم جهل مركب.

لأنهم لم يتلقوا العلم من أهله وشيوخه وخاصته، فعلم الشريعة لا بد أن يرجع فيه إلى أهله الثقات. فقد أحدث هؤلاء فجوة بينهم وبين العلماء، المشهود لهم بالخير والصلاح، ممن يوثق بعلمهم.

(١) الاعتصام (٢ / ٦٩١) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» (١).

فهؤلاء المتطرفين فكريا وعمليا اتخذوا قدوات خاصة فيهم ملائمين لأفكارهم ومن كان ضد أعمالهم وأفكارهم يصفونهم بالعملاء ويقولون عنهم إنهم لا يفقهون الواقع فتجد البلاء كله من إسقاط رموز العلماء ووضع رموزهم الضالة.

المطلب الثالث: طلب المثالية :

وهذا داء يدب إلى أذهان البعض من الشباب خاصة، حتى يظن نفسه أنه هو الذي على الحق، وغيره على الباطل، وأنه يسعى إلى الإصلاح والتغيير وفق أوهام رسخت بذهنه، لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه، وإنما همه أن يغير المجتمع كله، مهما كلفه ذلك من شجاعة وجرأة وفداء، حتى هانت عنده الأنفس والممتلكات.

لكبر مرض خطير، يسهل تسلله إلى أذهان الشباب، فيظن الشاب نفسه أنه هو الذي على الحق، وغيره على الباطل؛ فيسعى إلى الإصلاح والتغيير وفق ما رسخ بذهنه، وعادة ما تكون هذه الأفكار لا أساس لها في آيات القرآن الكريم وسنن نبينا المصطفي ﷺ، فتجد همَّه أن يغير المجتمع مهما كلفه ذلك، حتى هانت عنده الأنفس والممتلكات، وخرج على ولي الأمر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (١٠٠).

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» قَالَ قُلْتُ: «لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا»(١).

وانظر كيف هذا التعالي الغرور إلى أين وصل به الأمر إلى قول الكفر بظنه أنه ينكر المنكر وهذا من طبيعتهم النفسية وهي طلب الكمال في غير موضعه وتلفيق التهم على من يشاؤون والنظر إلى الناس بعين العلو فإذا كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم لم يرضيهم فمن يرضيهم بعد ذلك وقد خرجوا على جميع الخلفاء لأمرين إما الادعاء بالحفاظ على المال العام أو الوصف للحاكم بالمحاباة ، وهذا كله فعله هذا المتجرء مع صفوة الخلق ﷺ.

المطلب الرابع: اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

ومما يلفت النظر هنا أن ضبط هذه العلاقة جاء بأسلوب شرعي بديع هو توجيه كل من الطرفين: الحاكم والمحكوم إلى القيام بالمهام المنوطة به والواجبات الموكلة إليه بأسلوب قوي، فإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الحاكم وحقوق الرعية عليه والواجبات المنوطة به ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الرعية، وإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الرعية وحقوق ولي الأمر عليهم من الطاعة

(١)أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث ١٠٦٢ .

والنصرة ونحوها ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الحاكم، والموقف كما هو واضح يتشكل من مجمل النظر إلى النصوص الواردة في ذلك. وعلى الإمام إقامة الدين والحكم بشريعة سيد المرسلين وإصلاح أمر المسلمين والرفق بهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الرعية السمع والطاعة، وعليهما التناصح والشورى[١].

المطلب الخامس: فقدان الانتماء:

فقدان الانتماء إلى المجتمع الإسلامي والتعلق به، لهذا فقد اهتم الإسلام بالتعلق بالمجتمع أو اهتماماً بالغاً، وبيَّن علاقة الفرد به حتى شبَّه المجتمع بالجسم الواحد، ودعا إلى التعلق بالجماعة، ففي الحديث: "**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**"[٢]. وفي الحديث أيضاً: "**من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام منن عنقه**"[٣].

المطلب السادس: التفكك الأسري والاجتماعي،:

حرمان الطفل من الحاجات، أو معاملته بالقسوة منذ صغره، أو سوء العلاقة بين الزوجين، يساعد على أن ينشأ الطفل قاسياً ناقماً على الناس، يتخذ من الانحراف وسيلةً للثورة على مجتمعه وبيئته، ونستشهد بحادثة عن النبي ﷺ، فقد

(١) مشكلة الغلو في الدين اللويحق ٢/٤٧٥_٤٨٨.

(٢) سنن الترمذي-كتاب الفتن-باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/٢١٣ح٢١٦٥. وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سنن الترمذي-كتاب الأمثال-باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ٤/٥٥٧ح٢٨٦٣. وقال: حيث حسن صحيح.

روي أنه قبل الحسن فقال له أحد الصحابة: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فقال النبي ﷺ: "**من لا يرحم لا يرحم**"(١).

المطلب السابع: رفقاء السوء:

مما لا شك أنه لا يُستهان بدور الرفقاء في النزوع نحو الغلو والتطرف، لا سيما عندما يكون تأثير الرفقاء قوياً في وجود شخصية ضعيفة أو غير مستقرة أسرياً، وفي الحديث: "**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**"(٢).

(١) صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٣/١٣٧ح٥٩٩٧..

(٢) سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب من يؤمر أن يجالس ٤/٢٠٦٢ح٤٨٣٣. والحديث إسناده حسن.

المبحث الثالث
طرق معالجة الغلو

المطلب الأول: التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه:

فالتحاكم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ سبيل لترك هذا الغلو، ولكن أهل الغلو لا يرتضون بذلك، بل إن رأوا في الكتاب والسنة ما يوافق ما يريدون أخذوا بهما، وإن رأوا مخالفتهما لما يريدون فإنهم يطَّرحونهما، وهذا كما قال الله -جل وعلا-: ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [النور: الآيات ٤٨: ٥٠].

هم يدعون أنهم يريدون التحاكم إلى الكتاب والسنة ولكن إذا بدأت معهم بسرد الأدلة التي تنافي ما يعتقدون في بيان أنهم يأخذون جزء من بعض النصوص التي في ظاهرها أنها توافق أهوائهم فتذكر لهم حديثا يناقض فهمهم أو يخصص العام أو يقيد المطلق فيبدؤون باختراع أفهام ما سبقهم بها أحد ويخالفون النصوص الصريحة التي تناقض أفهامهم .

المطلب الثاني: بيان المصطلحات الشرعية :

إن مما يعالج به الغلو الذي انتشر بين كثير من الناس بيان المصطلحات الشرعية، وفقَ ما جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

فالمصطلح الشرعي لابد من بيانه وإشاعته وإظهاره للناس؛ حتى يرفق الناس بين ما هو مصطلح شرعي، وبين ما هو مصطلح وضعي، اتخذه الناس وسموه شرعيًّا .

فعلى سبيل المثال: الفتنة. فالفتنة مصطلح شرعي، جاء ذكرها في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ. وقد أمر النبي ﷺ باجتناب الفتن، فتجد من الناس من يفسر الفتنة على وفق ما يهواه، فإذا رأى ما يقع في بلاد المسلمين؛ من قتل وتفجير ونحو ذلك، قال: هذه فتنة ينبغي السكوت عليها.

ومصطلح الكفر المخرج من الملة وهل يطلق على المعين إلا إذا حصلت الشروط وانتفت الموانع.

وبعض من هو ينظر إلى لفظ الكفر ينظر أن كل لفظ كفر يعني هو الخروج من الملة .

ومصطلح الجاهلية ووصف مجتمعات المسلمين بمجتمعات جاهلية وأن هناك جاهلية دون جاهلية كما جاء في الحديث: إنك امرؤ فيك جاهلية .

المطلب الثالث: تربية النشء على الكتاب والسنة :

كذلك من سبل العلاج التي جاءت في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ تربية النشء على وفق ما جاء في الكتاب والسنة، فالنبي ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**». فالمولود يولد على الفطرة إلى أن يأتي المؤثر الخارجي فيؤثر فيه، إما بتهويد أو تنصير أو تمجيس، أو غير ذلك، أو نشر فتنة أو زرع غلو. فالطفل يخرج وهو على الفطرة، إلا أن هذين الأبوين أو المؤثر الخارجي يغير فطرته، فتجد منهم من يتنطع، وتجد منهم من ينحل من الدين انحلالاً كليًّا.

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ** "(١).

المطلب الرابع: بيان سنة النبي في التعامل مع الطوائف والأشخاص والعبادات :

ومن الأمور التي يعالج بها الغلو هو: بيان سنة النبي ﷺ في التعامل مع الطوائف، وفي التعامل مع الأشخاص، وفي التعامل مع العبادات. فالنبي ﷺ جاءنا بدين واضح، وتركنا على مثل البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، وتركنا على المحجة البيضاء، ما ترك النبي ﷺ من شيء إلا وبينه؛ إما تحذيرًا وإما ترغيبًا.

وكان يحذر النبي ﷺ من هذا التطرف والإرهاب حتى مع المخالفين من الكفار وغيرهم فكان يبين أهمية العهد وعدم الإخفار فيه وأهمية دماء المعاهدين والذميين ومثلهم اليوم من دخل البلد بإقامة وتأشيرة من الدولة بل كان يزور أهل الذمة ويقف لجنائزهم إذا مرت عليه.

المطلب الخامس: تعظيم أهل العلم:

ومن الأمور التي يعالج الغلو: تعظيم العلماء، وتعظيم أهل العلم، من شريعة محمد ﷺ، فالعلماء عظمهم الله –جل وعلا– بقوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]. وقوله –تعالى–: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١] .

فإذا كان الله –جل وعلا– عظم شأن العلماء، فكيف لا يعظمهم البشر ؟ كيف لا يعظمهم من هو دونهم؟ قال ﷺ: "**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ**

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٣).

الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ". فلابد من تعظيم العلماء حتى يرجع الجميع إليهم في وقت الملمات والفتن وهم صمام الأمان ولذلك لا يعالج الفكر إلا بالفكر وأجدر ما يرد على الشبهات المخالفين.

المطلب السادس: تعظيم الأمراء:

ومما يعالج به الغلو تعظيم الأمراء، ومعرفة شأنهم؛ لأن الناس من غير أمراء في فتنة عظيمة. ولهذا قال ابن تيمية: "سِتُّونَ سَنَةً مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا سُلْطَانٍ"؛ لأن الأئمة يحفظ الله -جل وعلا- بهم دين الناس، ويحفظ الله -جل وعلا- بهم بيضتهم، ولو وقع منهم ما وقع .

والنبي ﷺ أمرنا بتعظيمهم، فالذي أمرنا بذلك هو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

وعن هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**»[1].

وعن ابْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطُعِنَ فِي إِمَارَتِهِ، وَقَالَ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**[2].

(١)صحيح البخاري (٩/ ٦١) .

(٢)صحيح البخاري ٧١٨٧

الخاتمة وأهم النتائج

في ختام هذاالبحث نصل إلى عدة نتائج؛ منها:

١- انتشار ظاهرة الغلو والتطرف بالمفهوم العام على الشباب وسببه انفتاح العالم بعضه على بعض.

٢- أسباب الغلو كثيرة وأهمها: عدم الفهم الدقيق للدين ومصطلحاته وكيفية التعامل مع الطوائف الأخرى.

٣- العلاج الحقيقي للغلو يكون بالفكر ونشر ثقافة التسامح وتقريب الشباب من العلماء والحكام.

٤- من علاج الغلو تفعيل مبدأ حب الوطن والانتماء إليه .

فهرس المصادر والمراجع

١- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دمشق، بيروت، دار بن كثير،٢٠٠٣.

٢- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري، تحقيق: نظر بن محمد الفرابي أبو قتيتة، الرياض،دار طيبة، ٢٠٠٦.

٣- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبه العلميه، ط، بدون.

٤- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الرساله العالميه، ٢٠٠٩ م.

٥- سنن الترمزي، تحقيق، أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلميه، بدون طبعة.

٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر (٩٨/٩)، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون، (القاهره: دار الريان، ط١، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م)

٧- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، مكة.

٨- معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري. دار الوطن، السعودية. ط٧، ١٤١٣هـ.

٩- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي. طبعة دار القلم. دمشق، ١٤١٢هـ.

١٠- مقالات الإسلاميين للأشعري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، لبنان. ١٤١١هـ.

١١- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون. إيران (د.ت).

١٢- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد فتح الله بدران، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة. ط٢. (د.ت).

١٣- مناهج أهل الأهواء والافتراق، أ.د. ناصر العقل. دار الوطن، السعودية. ط١، ١٤١٥هـ.

١٤- منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم. جامعة الإمام، الرياض. ط١، ١٤٠٦هـ.

١٥- الموافقات للشاطبي. تعليق الشيخ دراز. المكتبة التجارية، القاهرة. ط٢، ١٣٩٥هـ.

١٦- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء، د. إبراهيم الرحيلي، مكتبة الغرباء، المدينة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٧- ٤٤نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية مشهور سلمان. دار الراية، السعودية. ط١، ١٤١٠هـ.